المستورد والمستنبت من المفاهيم والمصطلحات الغربية في النقد العربي المعاصر

د. مسعود ناهلية
جامعة يحي فارس المدية–الجزائر

ملخص:

تتناول هذه الدراسة حركة استيراد واستنبات المفاهيم والمصطلحات النقدية الأدبية الغربية في الثقافة العربية. وتقف عند مستويات تلقي هذه المفاهيم من قبل النقاد والمترجمين العرب، ومدى محاولة توطينها واستنباتها في المنظومة النقدية العربية، وترصد هذه الدراسة صعوبة التوافق الاصطلاحي بين النقاد في ظل تشبث كل واحد منهم بالمصطلحات التي اجترحها، مما أفرز ركاما فوضويا من المصطلحات في مقابل مصطلح أجنبي واحد. كما تعاين هذه الدراسة التدافع المفاهيمي والتداخل الاصطلاحي في غياب دور المجامع اللغوية التي لم ترافق هذا الزخم المتسارع بالكبح والتنظيم.

Abstract:

This study deals with the dynamic of imports and culture of western literary criticism concepts and terms in the Arab culture. It inquiries about the levels these concepts are received at by Arab critics and translators, and to what extent they were cultured in the Arab system of literary criticism. It also looks closely at the hardness to get critics adopt a unified use of terms while each one of them grips to the terms they produced. The result is a messy bunch of terms for one foreign term. Plus, this study looks at the concourse of concepts and entanglement of terms due to the failure of the language academies that didn't accompany continuous progression, neither by dampening nor by regulating it.

مدخل:

إن التحولات التي يعرفها العالم اليوم في مختلف الحقول المعرفية تستدعي المزيد من الالتفات إلى الحركات الثقافية والعلمية التي غدت قدرًا مشتركا بين أبناء المعمورة. وعليه كان لزاما على أية ثقافة أن تأخذ وتعطي بالانفتاح على الآخر، وأن تؤطرها معايير تجمع بين الفعل المبدئي والفعل البراغماتي القائمين على الحوار والعلمي، والتلاقي مع ذاك الآخر في المنجز المعرفي الإنساني الذي لم يعد إلا قدرا مشتركا، من شأنه تحقيق التواصل بين أبناء البشرية جمعاء.

وإذا كانت العولمة قد فرضت نفسها اليوم كإطار مرجعي حتمي للمثاقفة، فإن الترجمة هي البوابة الكبرى التي يدخل من خلالها الإنسان إلى الفضاءات والثقافات النشطة ، فالترجمة من شأنها « تفعيل مبدأ التلاقي بين الثقافات والتقاطع بين اللغات لتشكيل نمط تواصلي عالمي يتجاوز الخصوصيات المحلية ليرقى مراقية العالمية».[1]

كما تعتبر الترجمة إحدى بوابات النماء الثقافي la croissance culturelle والتبادل المعرفي بين الشعوب. ولعل مصطلح المثاقفة الذي يتنزّل اليوم في أدبيات شعوب العصر الحديث، وفي الثقافة العربية المعاصرة لدليل على تلاقي الثقافات الإنسانية.

وإذا حصرنا الحديث عن الثقافة العربية تحديدًا، وعلاقاتها التاريخية في الانفتاح على ثقافة الشعوب، نقول إن ظاهرة المثاقفة وحركة الترجمة كانتا دوما

[1] أحمد حساني: تعليمية اللغات والترجمة (بحث في المفاهيم و الإجراءات)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 1، س 1 ماي 2005، ص 85.

حاجة ملحة لدى العرب بعد استقرارهم في المدن، والشروع في الانشغال بالفكر وبناء الدولة. فقبل أن ينتهي القرن الأول الهجري بـ 15 سنة نجد الخليفة الأموي خالد بن يزيد بن معاوية يبدأ حركة الترجمة، ومن بعده المأمون، ومن بعدهما الفارابي، وهي إشارة إلى مدى اهتمام الإنسان العربي إلى ثقافة عصره، و تطويعها واستنباتها في حقوله المعرفية، لأنها باتت من مستلزمات النهضة آنذاك لخلق ثقافة متفتحة وواعدة. ولعل التنافس العربي/الفارسي الجميل ضمن الثقافة الجديدة الناجمة عن الامتزاج بين الحضارتين وما نتج عنهما من "حراك ودي " انتهى إلى ما أصبح يعرف بالثقافة العربية الإسلامية، وكان ذاك أحد العوامل الداعية إلى استيعاب ثقافة الآخر من داخل أو خارج المحصلة الثقافية الناجمة عن الاختلاط/الامتزاج المذكور.

كل ذلك دعا إلى تطوير الأدوات و المعارف العربية، من خلال علوم وثقافة الآخر في الشرق والغرب دون أدنى شعور بالنقص، وهو ما أوصل البحث اللغوي العربي إلى النتائج الباهرة. و"فن الشعر"، و"فن الخطابة "لأرسطو ما زالا يشهدان على ذلك، وحتى وإن كانت المعلومات التاريخية ضنينة في هذا الشأن، إلا أننا نرجّح بأن أسلافنا في المشرق والمغرب والأندلس استطاعوا أن يعطوا ويأخذوا، ويحققوا مبدأ المبادلة الثقافية المتوازنة.

تلقي المفاهيم : الظاهرة والتمثّل

التلقي هو كل اتصال براغماتي يسعى إلى اكتساب معرفة الآخر، إما بالترجمة، أو باللغة الأم. وهو مرتبط بمدى إدراك وتصور المفاهيم التي تنطوي عليها العينات المنقولة، ومدى استيعابها وتمثلها من قبل المتلقي، بحيث تظل

عملية التلقي ملتزمة بجوهر «الدلالة الكامنة وراء المفاهيم أو المصطلحات المعرفية والنقدية»[1].

ولعل ما بادر به **المأمون** من إنجاز على مستوى نقل معرفة الآخر في ذلك الزمن المتقدم عبر قناة الترجمة وتوطين معرفة الآخر واستنباتها في المنظومة الثقافية العربية لهو صورة ناصفة لمفهوم المثاقفة Acculturation، وتجاوز التقليد. وحين الحديث عن امتزاج الثقافات في العصر العباسي، يبدو إن أسلافنا لم ينشغلوا بظاهرة الاستسراد/التقليد أكثر مما انشغلوا بتوطين وتأصيل المعرفة. فلم يشغلهم التنظير أكثر من البحث عن تجليات المستورد في ثقافتهم كمادة أولية لزرعها في حقولهم الثقافية.

والتلقي كآلية من آليات المعرفة تستدعي استنفار طاقات المتلقي لإنتاج قراءة جديدةقادرة على تفكيك معرفة الآخر وإعادة بنائها بالاستنبات الواعي. لتجاوز التقليد المسقّف.

ويتم التلقي بتصور المنطلقات التي تنطوي عليها العينات المنقولة، بحيث تظل عملية التلقي Réception ملتزمة بجوهر «الدلالة الكامنة وراء المفاهيم أو المصطلحات المعرفية والنقدية»[2].

---

[1] سمير سيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 7.

[2] سمير سيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 7.

إن تلقي مفهوم ما يصطحب معه تلقي المصطلح بالإدراك والتفاعل مع التراكم الخبراتي للوعي بالوقائع المعرفية في تعانق واضح بين الحقول المتلاقحة فيما بينها، لأن «كل فعل أو واقعة، أو تصور معرفي، أو ثقافي خال من الدلالة لا يؤثر في الفعل ولا في النفس»[1]، وأن التفاعل معه يكون ناقصا ومضطربا يشوه المفهمة المزمع الحصول عليها من هذا التلقي. ينبغي أن يتنزّل التلقي في السياقات المعرفية لأي مفهوم تمّ الحصول عليه في إطار نقل المعرفة بالمثاقفة والترجمة. فـ « المفهوم لا يتجسد في مصطلح إلا إذا كان سياقه المعرفي والدلالي واضحا في الإدراك»[2].

وإذا كان التلقي في الثقافة الواحدة كثيرا ما يعرف اضطرابات مفهمية إلى درجة «أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمه عليه الجيل السابق»[3] بسبب التشظي الدلالي والاختلاف الحاصل من « كثرة استخدام المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع المجازي»[4] ، وهذا التوسع كثير في اللغة العربية، وكثيرا ما يعلق في الذهن معنى من المعاني الحاصلة بسبب التوسع الدلالي دون معاني أخرى لقوة حضوره. مثل (قطار[5] وغربال[1].

---

[1] سمير سيد حجازي، المرجع نفسه، ص 7.

[2] كلمة الوحدة: الفكر العربي والترجمة، الوحدة (مجلة فكرية ثقافية شهرية، تصور عن المجلس القومي للثقافة العربية)، المغرب، السنة 6، ع 62/61 أكتوبر/نوفمبر 1989، ص 5.

[3] أحمد عبد الرحمن حمّاد: عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية) دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص 138.

[4] أحمد عبد الرحمن حماد، المرجع نفسه، ص 138.

[5] كانت كلمة قطار تطلق على مجموعة من الإبل في قافلة، ثم أصبحت تطلق على مجموعة من عربات تجرها قاطرة بخارية، أو كهربائية.

«والذي أثبتته الأبحاث أن اللغة اجتماعية اصطلاحية، ولهذا تكون اللغة في تطور مستمر، وأن الألفاظ والدلالة في تغير من عصر إلى عصر، ومن حضارة إلى حضارة، ومن جيل إلى جيل»[2].

وقد يكون هذا الاضطراب والضبابية بسبب الباحثين الغربيين أنفسهم نتيجة اختلاف مرجعياتهم (بين اللغات الأوروبية المنتجة للمفاهيم. كثيرا ما يعبّ الباحث أو المترجم العربي من هذه المرجعيات والاكتفاء بالتعريب، التفكير في اجتراح مصطلحات أو استشارة المعاجم العربية، أو المؤلفات التي تناولت تلك القضايا المطروحة للترجمة، وتوفير المصطلح بالإحياء والاقتراض كما يشير عبد المالك مرتاض.[3]

وهذا ما يؤكد بأن التلقي عن الجيل الأول، أو الشخص الذي باشر عملية الترجمة، أو نقل المعرفة من لغة إلى لغة أخرى، أومن حقل إلى حقل كثيرا ما يتصف بالغموض والاضطراب لحداثة المعارف والمفاهيم المنقولة، حيث لا تزال في مرحلة البحث عن الاستقرار والنضج التي يمكنها من الانتشار والاستعمال على الوجه اللائق مفهميا واصطلاحا. ومرجع ذلك البعد عن المناخات

---

[1] كانت تطلق على آلة أو أداة فرز الحب من الشوفان، أو النخالة من السميد، وأصبحت تطلق على عملية النقد الأدبي وغيره من أنواع النقد الاجتماعي والسياسي.

[2] أحمد عبد الرحمن حماد، مرجع سابق، ص 150.

[3] يشير عبد المالك مرتاض أن المترجمين العرب سارعوا إلى ترجمة Énonciation واستعملوه في اللسانيات استعمالا متساهلا غامضا تحت مصطلح "التلفظ" في حال اللزوم بينما في اللغة الأجنبية هو وارد في حالة التعدي، ولم يرجعوا إلى ما اعتمده حازم القرطجني تحت مصطلح "التلفيظ"، وهو في نظره أكثر مواءمة (أنظر مجلة المجمع الجزائري للغة العربية العدد الأول/ السنة الأولى، ماي 2005، ص 30).

والمرجعيات العلمية والاجتماعية موطنها الأصلي. لإن منتجي المعرفة والمفاهيم والمصطلحات أذناك في بلاد الغرب كانوا « في مناخ معرفي محكوم بالنسيج الفكري الذي كان سائدا ».[1] في ذلك الوقت.

ووعي المفاهيم مرتبط بعوامل كثيرة، يستدعي استيعابها تنشيط آليات الاستقبال – الذاتية والمكتسبة – مجتمعة، على اعتبار « أن المفاهيم قد وجدت وتشكلت قبل المصطلحات، فتسمية المفهوم يمكن أن تعد الخطوة الأولى في تماسكه كمطلب سوسيولوجي وكيان قابل للاستعمال»[2].

وتمثل المفهوم يعد الركيزة الأساسية لأي نشاط ترجمي أو عملية نقل واستنبات في بيئة لغوية أخرى. والمفاهيم باعتبارها « بنية عقلية أو تجريدات يمكن تسخيرها في تصنيف الأشياء وأفراد العالمين: الخارجي والداخلي»[3] كونها إطارًا مرجعيًا لأي اصطلاح طارئ، من هنا استوجب في هذا التبني المفاهيمي شروطًا مرجعية لكل ناقل أو مترجم، وغياب بعض هذه الشروط قد يبعثر المفهوم ويشظيه. ومن ثم يفقد المصطلح غائيته، وتمركز حمولته بفعل اضطراب التلقي للمفاهيم.

زيادة على الشروط الذاتية، هناك « تعدد المناهج المتبعة عربيا في صوغ المصطلح التي تخضع بدورها إلى منظور التعريب المتبع في هذا البلد العربي أو

---

[1] عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة، (بحث في الخلفيات المعرفية) مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع/ تونس،(د.ت) ص 9

[2] جورج ساجر: نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، تر: جواد حسني سماعنة، مجلة اللسان العربي ع 1998/47. ص 188

[3] المرجع نفسه، ص 3

ذاك»[1]، ويرجع غلفان في المرجع المذكور أسفله أن أسباب اضطراب المصطلح وتعدده السلبي إلى:

1. اختلاف مصادر التكوين العلمي والمعرفي للسانيين العرب.
2. التفاوت النظري والمنهجي بين المستوى العلمي للسانيين العرب.
3. التطور المستمر للبحث اللساني العالمي وظهور المزيد من المفاهيم.
4. تراث اصطلاحي نحوي ولغوي عربي ينهل منه لسد حاجات الطلب المتزايد.
5. سيادة النزعة الفردية والقطرية التي لا تكترث برأي الآخر ولو كان صائبا.

تلقي القدامى العرب للمفاهيم:

إذا كان تلاميذ سيبويه ومن جاء بعدهم بداية من القرن العشرين، أمثال **الجواليقي** و**الكرملي** الذين انشغلوا بالمصطلح الحضاري، ترجمة وتعريبا واشتقاقا، للحاق بتقليص الهوة التي بدت واسعة، باستراتيجية معرفية وأيديولوجية، فإن المعاصرين من أجيال البحث اللساني والنقدي في اللغة والأدب قد عظمت مهامهم، وازدادت حاجتهم إلى تطوير معارفهم أمام التسارع الكبير الذي عرفته البحوث في الغرب والشرق بعد النصف الثاني من القرن العشرين، مع ما طرحه من أسئلة حول أهمية المثاقفة في ظل التحولات الحضارية، فإن الثلث الأخير من ذات القرن عرف جدلا علميا اصطلاحيا سواء تحت قباب المجامع اللغوية أو

[1] مصطفى غلفان: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلحات لأي لسانيات، مجلة اللسان العربي (المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة)، مكتب التنسيق بالرباط، عدد 46، ص 2.

خارجها وهذا ما حدا بالدارسين العرب إلى المرابطة الكثيفة على حدود جغرافيا اللغة، إما بالدفاع والمحافظة على صفاء لغتهم، أو حين يجدون أنفسهم في حاجة إلى مصطلح ما إما بالاشتقاق أو بالاقتراض والتعريب.

وبالتوقف عند بدايات النهضة وما تطلبته من جهود التغيير التي مرت عبر تلقي ثقافة الآخر، خاصة إذا ما استرجعنا حالة الجمود التي عرفتها المنطقة العربية بعد سقوط الدولة المركزية في بغداد، وتشتت ربوعها، وسوء أحوالها. ثم بالتوقف ثانية عند الطلائع الأولى للبعثات الطلابية وما اعترضها من إشكالات تلقي معارف ومفاهيم الآخر، سواء في مدرجات معاهده، أو بعد رجوعهم، وهي تباشر مهامها الفكرية والأدبية، ثم وهي تحاول توطين ما استقدمته من مفاهيم. وبالتوقف ثالثة عند مدرسة الألسن وما اعترضتها من صعوبات لفك شفرة مفاهيم الآخر حين راحت تتبني عناصره الثقافية والحضارية التي بلا شك كانت من الغرابة والدهشة بمكان، فإننا ندرك حجم المعاناة، أمام مجهود غير مسبوق من جهة، وغياب خارطة طريق يتكئ عليها الباحثون والمترجمون الأوائل.

ولنتصور الإشكالات المصطلحية التي اعترضت الطهطاوي ومن جاء بعده من المترجمين في مجالات عدة وقتذاك، ومدى المكابدة التي عاناها هؤلاء، وهم يؤسسون لمنظومة فكرية عربية حديثة فرضتها التحولات الجديدة، وما استدعته من نشاط ترجمي لتغطية الحاجات الملحة بفعل الانتقال من ثقافة راكدة إلى ثقافة منفعلة ومتفاعلة.

وبدون شك، فإن حيثيات الواقع الجديد وضعت المترجم والباحث العربي في حيرة متكاثفة بين تنام متسارع من الحاجات اللغوية، وواقع اصطلاحي موروث

خافت الوهج بسبب الركود الثقافي الذي عرفته البلاد العربية منذ انطفأت أنوار الدولة العباسية. وتلاشي فواعلها البحثية.

فهذا **فارس الشدياق** في مجلة (الجوانب) يدعو « إلى أن تتآزر جهود العلماء لتعريب المصطلحات في العلوم والفنون»[1]، ويتبعه كثيرون من أعلام اللغة والأدب أمثال **عبد الله فكري، وإبراهيم اليازجي، وعبد الله النديم،** تحدوهم في ذلك غيرة كبيرة على تمكين العربية من التعبير عن حاجات العصر الجديدة في الحضارة واللغة والأدب، خاصة «إذا نظرنا إلى حال الأمة العربية في هذا العهد، وما انتشر فيها من التمدن الغربي»[2]، وما تركه من حرقة وتساؤل أمام زخم المعاني والمفاهيم والحمولات التي « وجدت بين أيديها من أنواع الملبس والمفرش والماعون وأدوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الأحاديث والتصورات، وغير ذلك (...) أصبح الكاتب فيها مضطرا إلى وضع مئات، بل الآلاف من الأسماء التي لا يجد لها رديفا في لسانه»[3].

ولم تكن الصعوبة في كل الأحيان "إشارة لغوية"، وصعوبة الحصول على مصطلح بالترجمة أو الاشتقاق أو النحت وإنما هي ناجمة عن طبيعة الحمولة والرؤية. فاللغة ليست وسيلة أو أداة حيادية، بقدر ما هي رؤية وأداة متورطة اجتماعيا وثقافيا. «وما دامت اللغة رؤيا للعالم، وما دام لكل أمة لغة، فتلك اللغة

[1] خليل حلمي: المولّد في العربية، ط 2، 1985، دار النهضة العربية بيروت، ص 518.
[2] خليل حلمي، المرجع نفسه، ص 518.
[3] خليل حلمي، المرجع نفسه، ص 518.

هي رؤيا تلك الأمة، وروحها. وكل خلل يصيب عملية النقل، يصيب رؤيا وروح الأمة الناقلة»[1].

والجهود الترجمية الأولى التي تمت قام بها أسلافنا الأوائل تشير إلى طغيان الهوية العربية على تلك المنجزات، التي أسست الانفتاح على الآخر، لأن العرب لم يكونوا يترجمون أو يتلقون المعارف الأجنبية بتوجس وخوف، كونهم دولتهم قائمة بقوة، فلم يدخل عليهم عدوهم بترسانته المعرفية التي تطعن في شرعية الثقافة/ الأم، أو تقصيها من التداول، وتطرح نفسها بديلا لسانيا كما هو الشأن مع ثقافة الأمم المغلوبة معرفيا، ولذلك ترجموا وهم يشعرون بالأمن الثقافي، وبدون الشعور بالدونية، أو الطعن في مدى تلقيهم لمعارف عصرهم، أو مصطلحات اللغات التي يتلقوها، لأن « اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم»[2]، وهذا لم يحدث مع متلقي الثقافات الأعجمية في زمن العباسيين. أما حال متلقي ثقافة الآخر في الثقافة العربية المعاصرة عكس ذلك تماما. فنحن ((من تَلِفتْ دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم))[3].

---

[1] الخمار بوقرعة، الترجمة واللغة والهوية والقومية، مجلة الوحدة المغربية، س 6، ع 62/61 أكتوبر/نوفمبر 1989، ص 71.

[2] عبد السلام المسدّي: ما وراء اللغة ص 123 (نقلا عن ابن حزم في كتابه الأحكام، ج الأول، ص 31).

[3] المرجع نفسه، ص 123.

التلقي العربي للمنجز النقدي الغربي الحديث:

بعودة البعثات الطلابية التي تتلمذت في بلاد الغرب أيام محمد على، تكون المؤسسات الفكرية والأدبية العربية قد فقدت، أو تجاوزت بعض مقوماتها التقليدية، وبظهور جيل الجامعيين يكون الدرس الأدبي قد اكتسب هوية منهجية وتحليلية جديدة بفعل المعرفة المنهجية التي استقدمها الأساتذة والطلبة من بلاد الغرب في شكل مفاهيم، وأدوات تحليل.

وبدءا من **طه حسين** – الذي صرف النظر إلى منهج ديكارت – تكون المنظومة المعرفية التقليدية قد فقدت إحدى قلاعها لصالح أحد أقطاب المتلقين العرب للمفاهيم الغربية الحديثة. حيث بات طه حسين "مثيرا لجدل"، تراوح بين الإزعاج والتنويه.

إن الزخم المعرفي الذي ضخّته وتضخّه الثقافة الغربية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها الإبستمولولجية نحو الآخر –ومنه البلدان العربية المفتونة تاريخيا بهذه المعرفة الحراكية بعد توقف مسار الثقافة الذاتية إثر انحصار المعرفة العربية بفعل المد الاستعماري– جعل الأمم الشرقية تعيش حالة من الاندهاش والحيرة، ومزيدا من الحاجة إلى هذا الآخر بشكل مباشر وغير مباشر.

وإذا كان التلقي في ثقافتنا النقدية موسوما بالاضطراب في سيرورته وصيرورته بفعل الإبدالات التي ما نكاد تقبض عليها حتى تفرّ من بين أيدينا نتيجة التحول السريع في الثقافة الغربية الجديدة، ((لأن الإبدالات في تواترها التاريخي وتداولها تنبني على صيرورة من التطور الذاتي الطبيعي القائم على

التراكم الكمي والنوعي))[1]، على عكس التلقي العربي القائم على الذرائعية وردة الفعل.

وإذا كان النقد العربي ما قبل تلقي "**هانز روبرت ياوس**" الألماني يعطي النص وكاتبه الأفضلية في الاهتمام والمتابعة النقدية، فإن سعيد علوش بترجمته دراسة **ياوس** المتعلقة بالتلقي إلى العربية يكون قد فسح المجال أمام القارئ/الناقد للالتفات إلى هذا النوع الجديد من النشاط المعرفي، حيث ((وضعت هذه الدراسة أمام الناقد العربي عددا من المقدمات النظرية التي بات من غير الممكن تجاوزها في السعي إلى العمل بمقاربة ذات قدرة نفاذية إلى النص الأدبي))[2]، ومن ثم أدرك النقد العربي أهمية القراءة كإجراء حتمي وأداة للتلقي، وأصبح ((من وجهة نظر تاريخية لا وجود للنص الأدبي أو غير الأدبي دون قراءة))[3].

القراءة– كعملية تواصلية واعية بين النص/المفهوم، وعملية التحويل/التلقي باعتبارها قراءة منتجة– تقتضي إدراكا للجهاز المفاهيمي المستعار، وقوة ذاتية تملك من الأدوات ومن قوة التمرد على المسلمات في عالم التأصيل الاصطلاحي.

ترجمة المفاهيم: الاستيراد والاستنبات:

الحديث عن التلقي للمفاهيم النقدية الغربية لا يخرج عن دائرة الأدب المقارن، كون اللغة المنقول منها غير اللغة المنقول إليها، من حيث المفاهيم

---

[1] سعيد يقطين، النقد الأدبي العربي مسارات وآفاق، آفاق النقد العربي المعاصر الطبعة الأولى 2003 دار الفكر، دمشق /دار الفكر المعاصر، بيروت ص 32.

[1] ناظم عودة، طريق التلقي والتأويل إلى الخطاب النقدي العربي، مجلة علامات عدد 30، ص 58.

[3] أيف شيفريل وآخرون، في نظرية التلقي، ترجمة غسان السيد، ط 1 2000، دار الغد، دمشق، ص 57.

المشكلّة لحمولة هذه اللغة أو تلك حتى ولو اشتركت في بعض الجذور أو التخوم المعرفية مثلما هو الحال في اللغات الأوربية، فلكل لغة تاريخها وقاموسها ودلالاتها وقوامها الأسلوبي ونشاطها التأويلي، وما إلى ذلك من الخصوصيات التي تميزها عرفا ومعرفة عن اللغة الأخرى. والترجمة ((من أقوى الجسور التي وصلت الشعوب بعضها ببعض حينما تتصادف الشعوب على مسار الزمن الواحد))[1]، كما أنها ((لاحمت بين الأمم حينما يتعاقب بعضها على إثر بعض))[2] في الزمان والمكان.

والعربية عبر الأزمنة البعيدة والقريبة لم تتقوقع على نفسها، فظاهرة الاقتراض من أهم سمات العربية، بل إن كل الأخبار تشير إلى الأخذ والعطاء بين العربية واللغات المجاورة[3])خاصة في مرحلة بناء الدولة العربية. فاللغة ((كائن حي يأخذ ويعطي كما يأخذ الأحباء بعضهم عن بعض ويعطون بعضهم بعضا))[4].

---

[1] عبد السلام المسدّي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر تونس (د.ت)، ص 126.

[2] عبد السلام المسدّي، المرجع نفسه، ص 126.

[3] يذكر حامد صادق قنيبي في كتابه دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح جهود العرب الأوائل في الترجمة والتعريب، ويبين كيف وقفوا حيارى أمام المفاهيم والمصطلحات والأسماء الأعجمية الفارسية والهندية واليونانية يوم اضطروا إلى نقلها إلى العربية، وممن جاء ذكرهم في كتابه سيبويه (ت.181 هـ)، ثم تبعه، ونهل من علمه الجواهري (ت 393 هـ) في (الصباح)_ الزمخشري (ت 538 هـ) في (الكشاف)_الجواقي (ت 540 هـ) في (المعرب)_ السيوطي (ت 911 هـ) في (المزهر)_الشهاب الخفاجي (ت 1068 هـ) في (شفاء الغليل).

[4]السيد يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة العربية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، ص 5.

والترجمة في مفهومها العام ظاهرة تواصل بين الشعوب والثقافات، وهي في شقها الإجرائي ((تعني..نوعا من الاحترام للنص الآخر الذي يجب فهمه واستيعابه، ولكن يجب أيضا الاحتفاظ بأصالته غير القابلة للتشويه ولغيريته))[1]، لأن أي فشل في تحويل المعرفة من شأنه إبعاد النص الأصلي عن مفهومه، ويربك المتلقي في تبني الحمولة التي ينطوي عليها النص أو المصطلح.

ومن ثم كانت الترجمة عملية تواصلية ((حساسة تتطلب رؤية واضحة ومحددة ومفصلة للسياق الذي انبثقت عنه والذي تتوجه إليه))[2]، فهي تنفخ الروح في المفاهيم والنصوص لتحيى من جديد خارج الثقافة–المصدر، وتعيد صياغة المفاهيم ذاتها بهذا الوسيط الحيوي، فكثير من الأعلام في هذا الحقل أو ذاك لم يكتشفهم قراؤهم عن طريق لغاتهم بل اكتشفوهم عبر الترجمة وفي غير أوطانهم الأصلية وراحوا يحيون من جديد عبر الذين تنولوهم بالدراسة في لغات أخرى.

إن **نيتشه وهايدغر** أو **فرويد** لا يحيون اليوم إلا عند **(فوكو)**، أو**(ديريدا)**، وإن **(لاكان)** لا يحيا اليوم إلا لأنه يتكلم الفرنسية، شأن أرسطو الذي لم يكن ليدوم ويستمر في البقاء لو لم يتكلم العربية من خلال الترجمة.

والتقاء الشعوب عبر الترجمة من شأنه تحقيق الاستئناس والتواصل المعرفي والاجتماعي، وبعث اللغات الهامشية، ونصف الهامشية بهدف خلق حضور ثقافي إنساني واسع للحد من سطوة المركزية للغات المهيمنة.

---

[1] جان ستاروبينسكي وآخرون، في نظرية التلقي، ط 1 2000 ترجمة غسان السيد، دار الغد دمشق، ص 80.

[2] جان ستاروبينسكي وآخرون، المرجع نفسه، ص 81. نقلا عن (دانييل باجو، الأدب العام والمقارن، دار كولان، باريس.)

فالترجمة إلى العربية، بعد الاحتباس الطويل الشبه الموات، أعادت للثقافة العربية نصاعتها وجدتها وحضورها. فتلقي المفاهيم الغربية واستنبات مصطلحاتها حيّنت (Actualiser) النقد العربي في داله ومدلوله، حيث تم نقل المفاهيم من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف بتصورات وأدوات عبرت عن التلقي الواعي لدى المترجم/المتلقي/المنتج.

بالرغم من الفوضى الاصطلاحية التي يعيشها الباحث العربي، سواء أكانت بفعل نشاط فردي أو مؤسساتي. فإن القارئ العربي اليوم ينهل من فيض الترجمة ((لأن الأدب والفن لا يصبحان فعلا تاريخيا ماديا إلا بواسطة تجربة أولئك الذين يتلقون الأعمال الأدبية والفنية ويتمتعون بها ويحكمون عليها، فيقبلونها أو يرفضونها))[1].

وإذا كنا اليوم–كمجموعة عربية من خليجها إلى محيطها– نكاد نتفق في المفاهيم والألفاظ الحضارية المترجمة على تنوعها ودرجات حضورها في هذا القطر العربي أو ذاك، أو حتى في تعدد مصادرها، فإننا لا نكاد نتفق فيما هو أقل انتشارا، وأقل كثافة، وأقل تداولا، ونعني به المصطلح العلمي اللساني/النقدي.

ألا يدل عدم الاتفاق هذا على مدى عصيان المصطلح في الاستلحاق بالثقافة العربية، أو في محاولة استنباته في بيئة لغوية غير بيئته الأصلية؟.

وقد يكون هذا العصيان صوريا عند نقادنا المترجمين، أو راجعا إلى عوامل خارجة عن الجهاز المفاهيمي الذي نعزو إليه عجزنا الاصطلاحي، ونعني

[1] تطبيق المناهج النقدية الأوروبية على الأدب العربي: نظرية التلقي نموذجا (نص غير منسوب). في نظرية التلقي، جمال غسان السيد. ط/1 2000، دار الغد ، دمشق ص 112.

به اختلاف الغربيين أنفسهم حول الفلسفات التي تنطلق منها مفاهيمهم وإيديولوجياتهم، وقد يكون هذا التلقي العربي المضطرب راجعا إلا غياب التنسيق بين المتلقي/المنتج للمصطلح النقدي أو إلى تقاعس المؤسسات المرجعية التي ترعى– افتراضا – عملية توليد المصطلحات بفرض التأصيل والتواضع الجماعي سواء عن الاستعارة والاقتباس، أو عند الوضع والصناعة.

ومن المخجل والطريف معا، أن نجد المجامع العربية تختلف في المصطلحات التي تترجمها. فكل مجمع له مصطلحاته على دال أجنبي واحد، سواء في اللغة الواحدة أو في اللغات ذات الجذور المشتركة. وقد يهون الأمر لما اعتبر المستعمل العربي هذا الاختلاف مجرد مرادفات لمسمى واحد. لكن الخطورة تكمن في تمسك كل قطر بالمصطلح الذي أنتجته مؤسسته. ولا ينظر إليه كمرادف اختباري حين تعسر عملية ميلاده، أو تستغرق رحلة زمنية تقلل من أهمية وجوده. فمن اختلافات ألفاظ الحضارة – مثلا– نجد عدة مصطلحات عربية أنتجت في بيئات ترجمية عربية مختلفة في مقابل مصطلح أجنبي واحد. فمصطلح Microphoneفي اللغتين: الفرنسية والإنجليزية، يقابله ثلاثة مصطلحات عربية من ثلاث مواد معجمية،هي:

- مصوات (مجمع دمشق)
- مصداح (في تونس)
- مكبر صوت (المعجم الموحد)

زيادة على مصطلح (مايكروفون) نفسه الذي دخل الاستعمال من باب التعريب.

وما نقوله عن ألفاظ الحضارة نقوله – بكثير من الأسف– في المصطلحات اللسانية والنقدية، وكأننا ضائعون بين إشكالات المفهمة، على حد تعبير عبد المالك مرتاض.

ومرة أخرى، نقول بأن فوضى ترجمة الجهاز المفاهيمي الغربي مردها إلى اختلاف المفهمة في اللغات الغربية نفسها، منها ما هو راجع للمتلقي العربي ونشاطه الترجمي المتمرد، والمنزاح في هذا الاتجاه أو ذاك بسبب اختلاف المشارب، والغموض في الاقتراض والتوظيف، ((حتى نوشك أن نخشى ألا يمسي أحد منا يفهم الآخر بدقة ووضوح))[1].

اختلاف المفهوم .. اختلاف الترجمة:

إذا كان **مصطفى غلفان** قد عدّد أسباب اضطراب المصطلح النقدي واللساني في الثقافة العربية، وأشار **يوسف وغليسي** إلى أن اختلاف اللغات الأجنبية المنقول عنها، كانت هي الأخرى عاملا قويا « أسهم بوضوح في تصعيد أزمة المصطلح العربي»[2]. ويعود هذا في نظر الكثيرين إلى وهم المرجع الأجنبي ،كما يرجّح السعيد بوطاجين، إلى اعتبار الأدب، إبداعا كان أو وصفا، هو فوق

[1] عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 1 السنة الأولى ماي 2005، ص 30.

[2] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون/ بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 179.

المرجعية التي تخلقها طائفة من الطوائف، أوفئة ما، مرجعية لها ما يسغوّها فكريا، وليس جماليا.

ويلتقي **السعيد بوطاجين** مع **يوسف وغليسي، وعبد الله بوخلخال، وحسن ناظم**، ومع كثيرين ممن رصدوا حركية المصطلح النقدي العربي الحديث وتناسله بشكل مأسوي محزن. حتى إن **غليسي** عبّر عن هذه المأساة الاصطلاحية الفوضوية "بالإسهال المرضي الفتاك بالفعل الاصطلاحي العربي".[1]

إشكالية صناعة المصطلح النقدي

لقد اشتدت حاجة الناقد العربي إلى ذلك الآخر بوصفه صاحب ثقافة غالبة، تملك من مقومات الحياة والانتشار، الشيء الذي جعل الثقافة العربية تستعجل خطوها النهضوي للحاق بالثقافة الجديدة أمام تشظي وتنامي المعرفة الإنسانية، وتعدد مصادرها.

ووقف العرب حيارى أمام المفاهيم والنظريات والمسميات، وهم يبحثون لها عن لبوس لغوية من صميم عربيتهم التي اتهمت بالعقم والعجز الفكري. وأمام هذا التحدي مدّ الباحث العربي يده إلى معانقة المعرفة الغربية، وهو يتأبط – في نفس الوقت– تراثه الطويل، حيث لم يكن سهلا القبض عليهما في مرة واحدة.

وثار الجدل إلى حد الخصام حول صناعة المصطلح، إذ انقسم القوم أمام الثقافة الغربية الزاحفة إلى فريقين. فريق لا يرى إلا التراث، أو ما أنتجه السلف. ويستنكر ما عداه. واتهم كل تجديد في المصطلح بالعمالة ومعاداة التراث. وفريق

[1] المرجع نفسه، ص 233.

سعى إلى الأخذ بالمفاهيم والمصطلحات الغربية، ترجمة واشتقاقا وتعريبا، وظلت نسبة القبول والتبني والرواج بين مدّ وجزر عند الفريقين، ناهيك عن الاقتراضات القادمة من حقول معرفية أخرى، عرف استنباتها اضطرابا حينا من الدهر قبل أن تستقر في مدارها النهائي.

وسلك فريق ثالث مسلكا وسطا، جمع بين المنهجين، أي التفاعل مع التراث والمفاهيم الغربية، مرددين العبارة الشهيرة "لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات[1]".

والمتتبع لرحلة المصطلح النقدي العربي يلاحظ أن الباحثين العرب – على اختلاف بيئاتهم واللغات التي يترجمون عنها ،وعلى ما بهم من تشبث بفردانيتهم في إنتاج مصطلحاتهم– أدركوا أهمية المسعى الترجمي، وأهمية الاشتغال على توفير المصطلح لمواجهة السيل المعرفي الغربي الذي يدق أبواب ثقافتهم في كل حين.

غير أن هذا النشاط ظل جهدا مبعثرا جعل بعض المثقفين يرفعون أصواتهم منددين بالتشرذم الاصطلاحي في البلاد العربية داعين إلى توحيد الجهود بالانخراط الواعي في عملية التلقي للمفاهيم. وقد أبدى **عبد الله بوخلخال** – كما يشير يوسف وغليسي – في أحد الملتقيات، استغرابه من الفجوات التي تفصل بين المصطلحات العربية والغربية، وقد أشار إلى أن ((ضعف التنسيق هو العلامة

[1] محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق ط1 1993. ص 13

المميزة بين هذه الجهات والمؤسسات العلمية والثقافية المختلفة))[1]، وقد هاله ((ميل بعضهم إلى الفردية وفجاجة جهود الآخرين))[2].

وللأمانة القول بأن بعض الدارسين – فرادى كانوا أو ضمن فرق بحث في المجامع اللغوية العربية وغيرها– عملوا الكثير من أجل توفير وتوحيد المصطلحات، غير أن هذه الصيحات لم تكن في كل الأحوال مسموعة. بل هي نفسها كانت بحاجة إلى مثل هذه الشروط للخلاص من التشرذم الاصطلاحي التي وقعت فيه.

تداخل المصطلحات:

من الصعوبات التي تواجه الباحث العربي اليوم، وتزيد من أزمة التلقي للمفاهيم الغربية، ذلك الاقتراض المفاهيمي والاصطلاحي الذي فرضته عملية الترجمة بشكل ملفت للانتباه سواء في الحقل اللساني أو الحقل الأدبي اللذين عجّا بعشرات: المصطلحات للمقابل الأجنبي الواحد[3]، وهي صورة من صور معاناة الدراسات اللغوية والأدبية نتيجة ((تضخم وتكاثر المصطلحات الواردة إليها من اتجاهات ومفاهيم مختلفة))[4] تبناها النقد العربي انجذابا اختياريا، أو قسرا، فترهلت مدونته، فكانت الحيرة والقلق.

---

[1] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، ص 233.

[2] يوسف وغليسي، المرجع نفسه، ص 233.

[3] أنظر يوسف وغليسي ، المرجع نفسه ص 120، 152، 153، 173، 204، 227، 270، 333 وما بعدها

[4]مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، الإشكالية والأصول والامتداد 2003–2004، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005 ص 106.

وإذا كان الغربيون لم يغادروا حقولهم المعرفية، وهم يؤسسون لنقدهم في مراحله المختلفة، فإن العرب لم يقفوا عند حدود تراثهم. فقد خرجوا باحثين – وربما تائهين– في الفضاءات الغربية ترجمة وتعريبا واقتراضا للمفاهيم والمصطلحات بحجة ((تعصير النقد الأدبي وفق مناهج وقوانين ومصطلحات ألسنية –والنأي قدر الإمكان–عن الأدوات النقدية القديمة في معالجة النصوص، وكان للمصطلح – كما كان للمنهج– حظ وفير من هذا التأثير))[1]. ومن هنا كان المصطلح اللغوي/اللساني حاضرا في المنظومة النقدية العربية. كما كان لبعض الأصوات الداعية إلى التمسك بالمصطلح التراثي إلى جنب المصطلح الغربي أثر في خلق التداخل بين منظومتين مفهميتين ساد بينهما التنازع ولا يزال.

ومن القضايا المثيرة للجدل إشكالية تلقي المفاهيم الغربية التي تعرف اختلافا تصوريا أبستمولوجيا في بيئتها الأصلية، ومن تلك المصطلحات المعبرة عن المفاهيم التصورية، نجد على سبيل المثال: poétique، sémiologie، sémiotique، structuralisme.

لقد استقبل العرب المفاهيم والمصطلحات المذكورة برؤى مختلفة، كونها قادمة من مرجعيات ابستمولوجية وتصورات بعيدة عن مرجعيتهم ، ناهيك عن تباين مستوى الاستقبال، والمستوى الترجمي، والعقيدة الثقافية والسياسية التي كثيرا ما توجّه الفهم النقل والاستنبات.

لقد اهتم كل من **عبد السلام المسدي، عبد العزيز حمودة، ناظم حسن، عبد الله الغذامي، عبد الله إبراهيم، يوسف وغليسي، وإبراهيم بوخلخال**، وغيرهم

[1] مولاي على بوخاتم، المرجع نفسه، ص 110.

بإحصاء المقابلات العربية للمفاهيم اللسانية والنقدية مثل: الشعرية، الأدبية، السيميائية، الموضوعاتية، البيناوية، الأسلوبية، الانزياح وغيرها، حيث وقفوا عند ما يثير الدهشة والاستغراب في التنوع المضحك–المحزن حيث ((تصل حدة أزمة المصطلح في أحيان كثيرة إلى درجة العبثية))[1]. حيث تترادف المصطلحات العربية في مقابل المصطلح الأجنبي مما يثير الغموض بدل الإيضاح. ومن المصطلحات التي أسالت حبرا كثيرا:

1/مفهوم poétique :

يعني مفهوم الشعرية في ما يعني في الثقافة الغربية، بأنها – كما يقول **تودوروف:**((مقاربة للأدب "مجردة" و" باطنية" في الآن نفسه، ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما نستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي))[2]، وهو مفهوم زئبقي مثير للجدل ، يصعب القبض عليه، حيث تداخلت صورته اللغوية مع مفاهيم عربية عند الكثيرين رغم أن المفهوم الغربي غير الشعرية العربية حتى وإن تلامس المفهومان والمصطلحان.

ويسرد **حسن ناظم** بعض المفاهيم العربية التراثية للشعرية عند كل من **الفارابي وابن رشد وحازم القرطاجني،** ويعلق على تلك الأقوال مستبعدا لفظ الشعرية عندهم البعد الاصطلاحي، لأنها ((لا تمتلك مقومات الاصطلاح ، فهي غير مشبعة بمفهوم معين، كما أنها لم تكرس تماما في النصوص النقدية العربية

[1]عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو نظرية عربية. سلسلة المعرفة. ع 272 2001 .ص 91

[2]تزفيطان تودوروف، الشعرية ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة دار طوبقال الدار البيضاء الطبعة الثانية 1990 ص 23

القديمة، فضلا عن النصوص المترجمة عن **أرسطو**، والنصوص التي شرحت كتابه" في الشعرية"))[1]. فالشعرية إذن كمفهوم تلقاه العرب بمستويات مختلفة، وفي حقب متباعدة ،عبرت كل حقبة على مناخها وفهمها لمعارف عصرها، وبأدوات تنتمي إلى راهن ثقافي معين.

وباستنطاق ل(33) مصطلحا عربيا في مقابل (poétique الشعرية) – كما جاء (في إشكالية المصطلح) ليوسف وغليس، وكما أشار إلى ذلك العديد من الدارسين ك/**حسن ناظم**(مفاهيم الشعرية)، واستغراب **بوخلخال** في احد الملتقيات، **وسمير سعيد حجازي** في(النظرية الأدبية)، **وعزت جاد** في (مجلة فصول)– ندرك مدى الفوضى والاضطراب، وربما حتى الفنتازيا عند بعضهم، لما في هذه المقابلات من اختلاف وترهل معنوي مقابل المصطلح الأجنبي.

فمن الغرابة أن يكون لمصطلح poétique، هذا الكم الهائل من المصطلحات العربية: الشعرية– الشاعرية– الشعريات– الشعرانية– الشعري– الشاعري– فن الشعر– القول الشعري– علم الشعر– الدراسة اللغوية للشعر– أدبية الشعر– نظرية الشعر.

وخرج بعضهم عن مشتقات الشعرية إلى مصطلحات فردية ومركبة من ألفاظ أخرى، أبعدت المفهوم عن الاصطلاح المقترح، حيث تداخلت الدلالات. ومن المصطلحات التي قصدوا بها لفظة poétique نجد: الإنشائية، علم الأدب، علم الظاهرة الأدبية، نظرية الأدب، صناعة الأدب، الأدبية، الإبداع، التأليف،

[1]حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ط 1. 1994 المركز الثقافي العربي ص. 12

أصول التأليف، الجماليات. (وغيرها). وللإشارة فإن (76 مترجما عربيا تناولوا مصطلح Poétiqueبالترجمة، من بينهم 22 مترجما اشتركوا في الجذر "شعر" واختلفوا في مشتقاتها. بينما توزع الآخرون فرادى، ومثنى، وثلاث، ورباع على بقية المصطلحات الأخرى. كما يتضح في الجدول الذي أثبته وغليسي في كتابه "إشكالية المصطلح"[1].

كما تداخل مصطلح poétique مع المصطلح poéticité في الترجمات العربية رغم أن المفهوم ليس واحدا. فقالوا : السمة الشعرية، الشعرية، الشاعرية[2] .

2/ مفهوم sémiologie وsémiotique

فعلى الرغم من اختلاف دلالتي sémiologie وsémiotique في التواضع الغربي، إلا أن العرب تعاملوا معهما وكأنهما مصطلح واحد لتداخل وتقارب صورتيهما الصوتية وهيئتيهما اللغوية. وبالرغم من الاتفاق الذي أعلنه خمسة أقطاب من السيميائيين الكبار وهم (ياكوبسون، وتودوروف، وغريماس، **ولفي ستروس، بينفينيست ، وبارت)** حول اعتماد مصطلح sémiotique واستبعاد sémiologie لتحديد مفهوم علم الدلالة، أو (علم العلامات)[3]، إلا أن التلقي العربي ظل يجمع بينهما ويعتمدهما في تحديد علم الدلالة. ولا نجد تفسيرا

---

[1] انظر يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، من صفحة 282 إلى 284.

[2] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، ص 285

[3] في اجتماع ضم عددا من السيميائيين، تم الاتفاق على اعتماد سيميولوجي sémiologie للمتطلبات النظرية لعلم السيميولوجيا، واعتماد السيميوتيقا sémiotique لما بتعلق بالجانب التطبيقي.(انظر وغليسي ص 229.232)

لهذا غير فجاجة التلقي بسبب ضعف الاستقبال للمفهومين وغياب متابعة تطور حركية المفاهيم والتصورات التي تتنزل في حقل من الحقول، أو تختفي منها، أو تغير لبوسها وأشكالها بفعل الحراك الثقافي المتسارع في المنظومة الغربية.

ويعرض **يوسف وغليسي جدولين لمصطلحي** sémiologie و sémiotique بمقابلاتها العربية التي بلغت في:

(Sémiologie) 26 مقابلا عربيا. تبناها أكثر من 45 دارسا.

منها 11 مقابلا تشترك في لفظة سيميا ، وهي:

سيميولوجيا–سيميولوجية– سيمولوجيا–علم السيميولوجيا–ساميولوجيا– سيمياء– علم السيمياء– السيميائية– السيمائية– السيميائيات– السيماتية– السيامة.

ومنها سبع مصطلحات مركبة من كلمتين تتصدرها لفظة "علم" (في حالة إضافة مع مضاف إليه): **علم الرموز – علم العلامات – علم العلاقات – علم الدلائل – علم الأدلة – علم الدلالة – علم السيمانتيك – علم الإشارات.**

وما بقي من 26 مصطلحا عربيا في حالة إفرادية أو تركيبية بصيغ مختلفة، وهي:

الرموزية – العلامية – الدلائلية – الأعراضية – دراسة المعنى في حالة السانكرونية.

أما مصطلح sémiotique فأنتج له التلقي العربي 26 مقابلا تبناه ما يزيد على 50 دارسا من المشرق والمغرب، حيث تبنى أكثر من 25 دارسا عربيا،

10 مصطلحات تشترك في لفظة "سيميا" أيضا. منها ما هو خاضع للميزان الصرفي مثل: سيميائية سيمائية سيميائيات سيمائيات علم السيمياء).

أما **عبد الملك مرتاض** فقد انفرد بتعريب sémiotique إلى السيميوتيكا والسيميوتيكية. كما انفرد **صلاح فضل** بمصطلح **علم السيميولوجيا، ومحمد عناني ومحمد مفتاح وعبد العزيز حمودة ونصر حامد أبو زيد وجميل حمداوي** وآخرون بمصطلح السيميوطيقا.

أما باقي الإصطلاحات التي خرجت عن اللفظ المشترك فقد توزعت بين:

علم الرموز – الدلالية ا– لدلائلية – والدلاليات – علم الأدلة – علم الدلالة – علم الدلالات – علم الدلالة اللفظية – علم العلامات – العلامية – الإشارية – نظرية الإشارة.

وبالعودة إلى تفحص بعض المصطلحات سواء في sémiologie أو sémiotique نلمح أثر المرجعيات الثقافية الغربية التي ينتمي إليها هؤلاء الباحثون العرب، ونكتشف نزعة الغرابة والاستغراب في بعض المصطلحات التي لا تستند إلا إلى شيء من الزهو الاجتهادي و"التحرش" اللغوي.

3/ le thème و la thématique

ومن المفاهيم الزئبقية أيضا في المفهوم والدلالة، نجد le thème و la thématique فالموضوع/الموضوعة (le thème) يتلامس دلاليا مع le sujet كما تشير **(جاكلين بيكوش)** في قاموسها التأثيلي dictionnaire étymologique، تطورت في القرنين 16 و17 لتدل على امتحان مدرسي

composition scolaire وبعدها ترجمت ب traduction، وانخرطت للدلالة على علم التنجيم، ثم دلت على علوم الموسيقى. واللغة. وأخيرا ظهر مصطلح الموضوعة le thème، والموضوعاتية thématique.

ولم يكن تلقي هذا المفهوم سهلا لدى الدارس العربي، لأن الموضوع يتلامس مع التصور المادي أو المعنوي لكينونة الشيء في الواقع أو الخيال، وذلك للتماهي بين مفهوم الموضوع)objet) والموضوعة (thème). وقد اضطرب الدارس العربي في التفريق بين المفهومين" حين فكر في صناعة المصطلح. وكان من نتائج هذا الاضطراب أن أفرز ركاما من المقابلات الاصطلاحية التي تفضح الانفرادية والانعزالية والفوضى الاصطلاحية:

1/ 20 مقابلا عربيا لمصطلح thème:

التيمة – تيمة– غرض – معنى رئيسي – جذر– مضمون – التيم محور– موضوع موضوعة – ساق –قضية– فكرة – ..الخ.

2/ أما مصطلح thématique: فقد عرف هو الأخر تضاربا واضحا في ترجمته وتعريبه، فمن قائل ب: **التيماتيكية – تيماتية – الغرضية –الأغراضية –المنهج المداري –مضمونية – الجذرية – الاتجاه التيمي – المنهج الموضوعي– نظرية الموضوعات– المواضيعية..**

كل هذا قبل أن يرسو عبد الرحمن أيوب، ومن بعده محمد مرتاض، على مصطلح "الموضوعاتية"

الذي لقي ترحابا عربيا واسعا استقام معه الاستنبات، وكانت له الكينونة والحياة، على أيدي الباحثين المغاربيين أمثال، **سعيد علوشن وحميد الحمداني.**

مأزق التراكم الاصطلاحي في النقد العربي المعاصر:

ولّد التلقي العربي للمفاهيم اللسانية والنقدية الغربية المعاصرة تراكما اصطلاحيا جعل المشتغلين بالنقد الأدبي ينادون بضرورة التروي في إطلاق المصطلحات والاقتصاد فيها، حتى راح بعضهم يشكك في مصداقية الاستقبال وإدراك التصورات الغربية التي استقدمها الدارسون/المترجمون من مختلف البيئات واللغات.

وإذا كانت الترجمة هي الوسيط الحيوي الذي يربط بين الشعوب، فإن هذه العلمية لا تخلومن مخاطر الانحراف بالمفاهيم والتصورات. لذلك كثرت الدعوات المنادية بالتشديد في الترجمة والنقل الأمين، حتى وإن كانت الترجمة خيانة. وليس سهلا معاودة استنبات المفاهيم بمقابلات اصطلاحية توصف بالتغير والزئبقية. وأمام حاجة العرب إلى هذا المطلب المعرفي كانت الديناميكية دون مستوى الطموحات في الترجمة والتوطين والتوظيف بسبب تشتت الجهود الفردية والمؤسساتية على السواء، فكان الاضطراب وكانت الأزمة التي نعرفها جميعا. فالاختلالات والمخاوف والانزلاقات الاصطلاحية ناجمة عن:

1. القراءة الغامضة والمغامرة للمنتوج النقدي الغربي بأدوات أقل ما يقال عنها أنها قليلة الفاعلية

2. غياب التصور الكافي وقلة الحفر في الجذور

3. اضطراب في إجادة اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها.

4. اختلاف الغرب نفسه في مفاهيمه ولغاته وأيديولوجياته.

لكن هذا لا ينبغي أن يشفع للمتلقي العربي المتخصص أن يتعلل بهذا الاختلاف ليواري قصوره ويبرر شططه.

وبالتوقف عند ركام المصطلحات المقترحة من قبل الدارسين/المترجمين في مقابل المصطلحات الغربية ندرك مدى التشتت بين هؤلاء المتلقين أنفسهم. فعلى امتداد أكثر من عشرة مراجع عربية، ومن خلال عدد من مهتمين كبار ممن يشتغلون على المفاهيم والمصطلحات، نجدهم يتعرضون بالمساءلة والدهشة عن كثافة وتلاطم المصطلحات حول هذا المفهوم أو ذاك. إن المتلقين العرب على اختلاف بيئاتهم ومراحلهم وثقافاتهم وتوجهاتهم الفكرية وأيديولوجياتهم السياسية أقاموا الدنيا ولم يقعدوها حول مرجعية وهوية النقد العربي في ثقافتنا العربية المعاصرة.

أصناف المترجمين:

إن الترجمة والتعريب اللتان فرضتهما الحاجة الكثيفة لنقل المعارف والمفاهيم النقدية الغربية أنجبت لنا أصنافا من المترجمين تكفلوا طوعا، أو تحت رعاية مؤسسة رسمية وغير رسمية بإنتاج اصطلاحي أثار جدلا كبيرا في الساحة النقدية. وقد نجد من بينهم: **المترجم العضوي/ المتخندق – والمترجم المعزول – والمترجم الحفري.**

وكل منهم ساهم بقراءة واستقبال المفاهيم النقدية الغربية لتحيا ثانية بمصطلحات مترجمة أو معربة خارج البيئة الأم، وبعيدة عن حقلها اللغوي بشكل عام.

فالأول ((تبنى المفاهيم في نصوصه النقدية واستخدمها استخدام الناقل المنعزل عن بيئتها وعن بيئتنا الثقافية في آن واحد، واكتفينا بنقلها من لغة إلى لغة أخرى دون أن يصاحب هذا النقل محاولات في تحديد دلالتها))[1] وهو، بهذا العمل، ((يتيح لنفسه فرصة الانضمام إلى صفوف النقاد المحدثين))[2] الباحثين عن ((المفاهيم والمصطلحات البراقة التي تسيطر على المناخ النقدي الغربي))[3].

والثاني جمع بين العلم والأيديولوجيا، فأبى إلا أن ينقلهما، وهو يتغاضى عن الدال المقابل في اللسان العربي، فراح يستورد المفاهيم ولبوسها اللغوية الأصلية ضاربا عرض الحائط بإمكانية الحصول على مصطلحات عربية كبديل اصطلاحي عربي. ومنها:

"الدياكرونية" diachronie بديلا عن التاريخية أو التعاقبية

"السنكرونية" synchronie بديلا عن الآنية

"التيماتيكية" thématiqueبديلا عن الموضوعاتية، والتيمة/الثيمة thème بديلا عن الموضوعة.

السيميوتيكية sémiotique بدل السيميائية.

---

[1] سمير سعيد حجازي، النظرية الأدبية، ص 9.

[2] سمير سعيد حجازي، المرجع نفسه، ص 9.

[3] سمير سعيد حجازي، المرجع نفسه، ص 9.

البيوتيك أو البوايتيك أو البويطيقة poétique / poetics بدل الشعرية.

نسجل هذا، ونحن ندرك – مسلمين – بأن الكثير من المفاهيم يعسر العثور لها على مقابلات عربية. وحتى إن وجدت، فإن سرعان ما تختفي من الاستعمال، لنفور المتلقين منها لأسباب صوتية أو دلالية أو لقلة حيويتها التداولية في سوق الاستعمال، أو لقلة حمولتها أو لتداخلها مع غيرها في الدلالة، مما يعرض معناها للبس قد ينحرف بها إلى مفهوم آخر. وهو الأمر الذي يجعل منتج المصطلح ينحني أمام قوة المصطلح الأجنبي محتفظا ببنيته وهيئته أحيانا. ويتجلى هذا بوضوح في حقل الدراسات اللسانية أكثر منه في حقل النقد الأدبي، حيث يصبح التعريب شرا لابد منه.

ويشير **يوسف** و**غليسي** بأن التعريب قد يكون حالة استثنائية عند بعض الباحثين، كما هو الحال عند عبد المالك مرتاض مثلا، حين عرّب لفظة proxémique بـ (بروكسيميكا)، أو كما عرّب أحدهم grammatologie بـ (غراماتولوجيا)، حيث ظل المصطلح الأول ينتظر مقابلا عربيا صميما، بينما تحصل الثاني على مصطلح (علم الكتابة). ناهيك عن مصطلحات أخرى فضّل المترجم العربي أن تظل في لبوسها الأجنبية صورة ونطقا، مثل: tonème ، phonème، sénème ، cénème، lexème، فقالوا: **تونيم، فونيم، سينيم، سينيم، ليكسيم.**

وتحصلت بعض هذه المصطلحات الأجنبية على مقابلات لها بالعربية، غير أنها كانت سريعة الوفاة مثلما كانت سريعة الميلاد، حيث فقدت الحصانة والمناعة ورخصة التداول الواسعة. والملاحظ أن هذه المصطلحات الأجنبية –

اللسانية منها والنقدية– حين تحصلت على المقابل العربي لم يكن بدالٍ واحدٍ موحِّد بين المتداولين العرب، بل تحصّل كل مصطلح أجنبي على عدد عديد من المقابلات العربية. ويمكن أن نرجع ذاك التعدد الاصطلاحي إلى أسباب منها:

1. المرجعيات المختلفة للمترجمين، فتظهر المصطلحات ملونة صوتيا ودلاليا بتلك اللغات.

2. الحضور القوي للمترجم في اختيارات مصطلحاته بعقلية تنافسية وفانتازيا" مما أوجد عدة مقابلات لمصطلح أجنبي واحد.

3. غياب دور المجامع اللغوية كمؤسسة مؤهلة ومكلفة بتوحيد المصطلحات والتقليص من ظاهرة التكاثر السلبي للمصطلحات، والتشظي المفاهيمي الذي يضر بالنقد العربي.

انخرط العرب في الثقافة الجديدة، بعد اطلاعهم على منجزات الغرب. وكادوا يجعلون من تلك المنجزات المعرفية بديلا ثقافيا، إن لم نقل هناك من جعل منها أيديولوجية فكرية. وأمام الحاجة المتنامية لظاهرة التطور وجد المثقف العربي نفسه في سباق مع الزمن لتحقيق التغير المطلوب. وقد عمد الناقد العربي – كما يشير سعيد يقطين– إلى:

1. إرسال البعثات التعليمية إلى الغرب للتعلم من أجل تحسين المستوى أو النيل من المناهج الغربية في جامعاته .

2. الاستفادة من منجزات المستشرقين وتطبيقاتهم على الثقافة العربية[1].

[1] سعيد يقطين، المرجع نفسه ص 20

3. اعتماد الترجمة كوسيط حيوي لنقل المعرفة، ونقل المفاهيم إلى اللغة العربية

وإذا تجاوزنا تمرحلات النقد الغربي ومسارات النقد العربي وهو يتابع أو يختزل المراحل من أجل اللحاق في تلقيه للمعرفة الغربية، نقول بأن التلقي العربي للثقافة الغربية كثيرا ما اتسم بالمأساوية:

1. إما لسرعة الحراك والإنتاج المتسارع الذي لم يمكن المتلقي العربي من المتابعة والاستيعاب

2. وإما لتأخر هجرة المفاهيم بسبب تباطؤ المترجم العربي في نقل تلك المعرفة، وهذا ما جعل المتلقي العربي ((لا يتفاعل معها إلا بعد أن تكون قد استنفدت في محيطها الثقافي (...) وبدأ يتم تجاوزها))[1].

وإما أن اختلافات منهجية وأيديولوجية كانت عائقا في نقل تلك التصورات إلى العربية خاصة، و((أن اللغة في تطور، وأن الألفاظ والدلالة في تغير من عصر إلى عصر، ومن حضارة إلى حضارة، ومن جيل إلى جيل))[2]. والحديث عن التلقي العربي للمفاهيم النظرية في النقد العربي المعاصر مفتون بالكم والنوع المتسارعين في تلك الثقافة التي جعلت من منجزاتها مرجعيات كونية تبشّر بها مؤسسات وآليات تطلّ علينا من كل مكان.

[1] سعيد يقطين المرجع نفسه، ص 29

[2] أحمد عبد الرحمان جماد، عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، الطبعة الأولى 1983 دار الأندلس، بيروت ص 150

و ((إذا كانت المعرفة النظرية التي نستند إليها في عملنا النقدي تأتينا عن طريق التلقي))[1]، فإن المسافة بين التلقي العربي والإنتاج الغربي لهذه المفاهيم مازالت طويلة تتطلب جهودا كبيرة لتطوير آلياتنا البحثية والمعرفية، ليس لاختصار الهوات والمسافات فقط، ولكن من أجل خلق الذات المنتجة والمساهمة في الحضارة الإنسانية.

[1] سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص 32.

المراجع:

1. أحمد عبد الرحمن حمّاد: عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية) دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، 1983

2. أيف شيفريل وآخرون، في نظرية التلقي، ترجمة غسان السيد، ط 1 2000، دار الغد، دمشق، ص 57.

3. تزفيطان تودوروف، الشعرية ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة دار طوبقال الدار البيضاء الطبعة الثانية 1990

4. جمال غسان السيد تطبيق المناهج النقدية الأوروبية على الأدب العربي: نظرية التلقي نموذجا (نص غير منسوب). في نظرية التلقي،. ط/1 2000، دار الغد ، دمشق

5. جان ستاروبينسكي وآخرون، في نظرية التلقي، ط 1 2000 ترجمة غسان السيد، دار الغد دمشق

6. جورج ساجر: نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، تر: جواد حسني سماعنة، مجلة اللسان العربي ع 1998/47

7. حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ط 1. 1994 المركز الثقافي العربي المغرب

8. خليل حلمي: المولّد في العربية، ط 2، 1985، دار النهضة العربية بيروت

9. سمير سيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004

10. سعيد يقطين، النقد الأدبي العربي مسارات وآفاق، آفاق النقد العربي المعاصر الطبعة الأولى 2003 دار الفكر، دمشق /دار الفكر المعاصر، بيروت

11. السيد يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة العربية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، بيروت

12. عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة، (بحث في الخلفيات المعرفية) مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع/ تونس،(د.ت)

13. عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة (نحو نظرية نقدية عربية، ع 272.) سلسلة المعرفة. مطابع الوطن الكويت

14. محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق ط1 1993. ص 13

15. مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، الإشكالية والأصول والامتداد 2003-2004، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005

16. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون/ بيروت، الطبعة الأولى، 2008

17. أحمد حساني: تعليمية اللغات و الترجمة (بحث في المفاهيم و الإجراءات)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 1، س 1 ماي 2005

18. كلمة الوحدة: الفكر العربي والترجمة، الوحدة (مجلة فكرية ثقافية شهرية، تصور عن المجلس القومي للثقافة العربية)، المغرب، السنة 6، ع 62/61 أكتوبر/نوفمبر 1989

19. مجلة المجمع الجزائري للغة العربية العدد الأول/ السنة الأولى، ماي 2005

20. الخمار بوقرعة، الترجمة واللغة والهوية والقومية، مجلة الوحدة المغربية، س 6، ع 62/61 أكتوبر/نوفمبر 1989

21. مصطفى غلفان: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلحات لأي لسانيات، مجلة اللسان العربي (المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة)، مكتب التنسيق بالرباط، عدد 46

22. ناظم عودة، طريق التلقي والتأويل إلى الخطاب النقدي العربي، مجلة علامات عدد 30،

23. عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 1 السنة الأولى ماي 2005.